

الأديبة الهوساوية بالارابا رامات يعقوب: سيرة ذاتية ومسيرة أدبية

The Hausa Woman Writer Balaraba Ramat Yakubu

A Biography and Literary Career

د. حماد إسماعيل فوزي(*)

Dr. Hammad Ismail Fawzi

Email: Hammad.sadek@cu.edu.eg

تاريخ الإرسال: 2025-4-15 تاريخ القبول: 2025-6-4 تاريخ النشر: 2025-6-25

ملخص

"بالارابا رامات يعقوب" "Balaraba Ramat Yakubu"، أديبة نيجيرية هوساوية نسوية معاصرة بامتياز، وإحدى أهم وأبرز من كتبوا في الأدب النيجيري الهوساوي باللغة المحلية. وبانتشار أعمالها في ربوع نيجيريا، أُعيد استخدام جزء منها في أغراض سينمائية تستهدف في المقام الأول، أولئك الذين لم يحظوا من أبناء مجتمعها بالتعليم. ثم تُرجمت أعمالها إلى الإنجليزية، مما ساعد في انتشار إنتاجها الفكري والإبداعي حول العالم، وازدادت قاعدة قُرّاء مؤلفاتها لتتجاوز حدود النيجيريين، متسعة لتشمل المهتمين بدراسة المجتمعات الإفريقية، ولا سيما المجتمع الهوساوي، من غير المتخصصين المستكشفين لتفاصيل هذه المجتمعات الإفريقية وبيئاتها المختلفة.

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم رؤية علمية مُعمّقة حول السيرة الذاتية للأديبة الهوساوية "بالارابا رامات يعقوب"، وذلك من خلال استعراض أهم محطات حياتها المختلفة، من حيث ميلادها، ونشأتها، ومسيرتها التعليمية، وتجاربها الزوجية. كما تسعى إلى استكشاف مسيرتها الأدبية، بالتركيز على أبرز إنجازاتها المهنية والإبداعية، ومواجهتها للتحديات التي فرضتها جماعة "بوكو حرام"، فضلاً عن تحليل علاقتها بقضايا المرأة، وإسهاماتها في مجال السينما.

كلمات مفتاحية: الأدب، الأدب الإفريقي، الأدب الهوساوي، بالارابا رامات يعقوب.

Abstract

Balaraba Ramat Yakubu is a prominent contemporary Nigerian Hausa feminist writer and a leading figure in Hausa-language Nigerian literature. Her works, widely circulated across Nigeria, have been adapted into films, targeting those without formal education in her community. Translations

* مدرس لغة الهوسا وآدابها بقسم اللغات الإفريقية، كلية الدراسات الإفريقية العليا - جامعة القاهرة.

into English have expanded her readership globally, attracting scholars and enthusiasts interested in African societies, particularly the Hausa community.

This study examines key aspects of Yakubu's life, including her birth, upbringing, education, and marital experiences, while exploring her literary contributions, achievements, challenges faced from Boko Haram, her engagement with women's issues, and her role in Hausa cinema.

Keywords: Literature, African Literature, Hausa Literature, Balaraba Ramat Yakubu.

مقدمة

"بالارابا رامات يعقوب" "Balaraba Ramat Yakubu"، أديبة نيجيرية هوساوية نسوية معاصرة بامتياز، وإحدى أهم وأبرز من كتبوا في الأدب النيجيري الهوساوي باللغة المحلية. وبانتشار أعمالها في ربوع نيجيريا، أعيد استخدام جزء منها في أغراض سينمائية تستهدف في المقام الأول، أولئك الذين لم يحظوا من أبناء مجتمعها بالتعليم. ثم تُرجمت أعمالها إلى الإنجليزية، مما ساعد في انتشار إنتاجها الفكري والإبداعي حول العالم، وازدادت قاعدة قراء مؤلفاتها لتتجاوز حدود النيجيريين، متسعة لتشمل المهتمين بدراسة المجتمعات الإفريقية، ولا سيما المجتمع الهوساوي، من غير المتخصصين المستكشفين لتفاصيل هذه المجتمعات الإفريقية وبيئاتها المختلفة.

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم رؤية علمية مُعمّقة حول السيرة الذاتية للأديبة الهوساوية "بالارابا رامات يعقوب"، وذلك من خلال استعراض أهم محطات حياتها المختلفة، من حيث ميلادها، ونشأتها، ومسيرتها التعليمية، وتجاربها الزوجية. كما تسعى إلى استكشاف مسيرتها الأدبية، بالتركيز على أبرز إنجازاتها المهنية والإبداعية، ومواجهتها للتحديات التي فرضتها جماعة "بوكو حرام"، فضلاً عن تحليل علاقتها بقضايا المرأة، وإسهاماتها في مجال السينما.

أولاً: ميلادها ونشأتها وتعليمها

وُلدت الأديبة النيجيرية الهوساوية "بالارابا رامات يعقوب" في حيّ "كورواوا" "Kurawa" في ولاية "كانو" "Kano" يوم الأحد، الموافق الرابع عشر من سبتمبر عام 1958م⁽¹⁾. تلقت تعليمها الإسلامي والغربي في الفترة من عام 1962 إلى عام 1980م⁽²⁾، حيث التحقت بمدرسة "المُعَلِّم مُحمد" "Malam Muhammadu" لتعليم القرآن الكريم في منطقة "شاهوتشي" "Shahuchi" عام 1965م⁽³⁾. وجدير بالذكر أن المدارس التقليدية لتعليم القرآن الكريم في شمال نيجيريا هي عبارة عن كتاتيب وخلّوي بدأت منذ دخول الإسلام، وانتشرت في ربوع مدينة "كانو"، وكانت تُقام في المساجد وبيوت العلماء. وكانت الخلّوي أغلبها مخصصة لتعليم القرآن الكريم ومبدأ القراءة والكتابة، بينما الكتاتيب مخصصة لتدريس الفقه والحديث والسيرة النبوية والعلوم الشرعية الأخرى، علاوة على تعليم القرآن الكريم والقراءة والكتابة. وعلى هذا، فقد كانت المدارس القرآنية التقليدية في مجتمع شمال نيجيريا منارةً للعلم ومنبعاً للثقافة والحضارة الإسلامية في بلاد الهوسا⁽⁴⁾. واستكمالاً لما قيل، فإن مدارس تعليم القرآن في نيجيريا تنقسم إلى

نوعين، النوع الأول يُطلق عليه المدارس القرآنية للصغار، ويلتحق به الأطفال الصغار عند بلوغهم سن الخامسة أو أقل ليتعلموا قراءة القرآن من غير حفظ، ويُطلق عليها في العُرف المحلي "مدرسة اللّوح" وهو النوع الغالب في نيجيريا. والنوع الثاني يُطلق عليه مدارس العلوم للكبار، ويلتحق بها الكبار الذي يجيدون القراءة والكتابة ليحفظوا القرآن الكريم⁽⁵⁾.

وتأسيساً على ما سبق، فإنه يُمكن القول بأن التحاق "بالارابا" وهي طفلة بإحدى المدارس التقليدية لتعليم القرآن الكريم في شمال نيجيريا، لدليل على امتلاكها معرفة سابقة باللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولم لا؟! فالعربية هي اللغة الأولى التي بدأت تعلّم نظامها الكتابي في طفولتها، ثم بعد الثالثة عشر من عمرها تعلّمت القراءة والكتابة بلغة الـ "الهوسا" "Hausa"⁽⁶⁾ في مركز لتعليم الكبار. كما يُعد ذلك دليلاً على أن المجتمع الهوساوي ذو الأغلبية المسلمة، كان تركيزه في ذلك الوقت مُنصباً على إلحاق الأطفال بالمدارس التقليدية لتعليم القرآن الكريم في شمال نيجيريا -مرحلة ما قبل التعليم الابتدائي الرسمي- التي تهتم بتعليم القراءة والكتابة وتعليم القرآن الكريم والعلوم الإسلامية للصغار منذ براعم أعمارهم، وتغرس فيهم حب القرآن الكريم والاهتمام به، وغرس المبادئ الرفيعة والأخلاق الحميدة في نفوسهم.

وفي هذا الصدد، عكست الأدبية "بالارابا" في إنتاجها الفكري والإبداعي أهمية نظام المدارس التقليدية لتعليم القرآن الكريم في نيجيريا والمجتمع الهوساوي. فقد أشارت في إحدى رواياتها، "Budurwar Zuciya" "القلب المائل"، إلى شخصية "أسماء" "Asma'u"، التي كانت تُستخدم للرمزية إلى الشخصية المُتمرسّة في التربية الإسلامية؛ حيث كانت "أسماء" -بدعم من زوجها "الحاج عثمان" "Alhaji Usman"- تُعلّم الأطفال القرآن الكريم والتعاليم الإسلامية حتى في منزل الزوجية⁽⁷⁾. وهي تؤكد بذلك على ضرورة تعليم الأطفال القرآن الكريم والتعاليم الإسلامية منذ الصغر. كما تؤكد كذلك على أن يكون لدى المرأة المعرفة الإسلامية الوافية قبل الانتقال إلى منزل الزوجية؛ فهي التي تُربي النشء وتغرس فيهم حب القرآن وتعليمه، وحب الإسلام وعلومه.

ثم التحقت "بالارابا" بالمدرسة الابتدائية في منطقة "جاركاسا" "Jarkasa" التابعة للحكومة المحلية في ولاية "كانو" في الفترة من عام 1965 إلى عام 1971م. ومُنعت من مواصلة الذهاب إلى المدرسة في عام 1971م، وذلك قبل إكمال دراستها في المرحلة الابتدائية⁽⁸⁾. والسبب الوحيد وراء التحاقها بالمدرسة الابتدائية هو أنّ والدتها أرسلتها سراً إلى هناك، حيث كانت الفتاة الوحيدة من بين ثمانين حفيداً تذهب إلى المدرسة الابتدائية. وعندما اكتشف والدها ذلك، منعها من العودة إلى المدرسة مرة أخرى، وقرر تزويجها دون أن يُمنح لها الحق في الاختيار⁽⁹⁾.

وفي هذا الشأن، صرحت الأدبية في إحدى القنوات التلفزيونية قائلة: "أمي فقط هي التي كانت تعلم، وهي التي قدمت لي الدعم وساعدتني في الحفاظ على سرّي عندما سألتني والدي عن مكاني". وخلال تلك الفترة، قامت "بالارابا" بخياطة أكبر عدد ممكن من فساتين الأطفال بهدف بيعها، وكان ذلك مُبرراً لجميع الفترات التي قضتها بعيداً عن المنزل⁽¹⁰⁾.

اعترض شقيقها الجنرال "مُرتلا رامات محمد" "Murtala Ramat Muhammad"، رئيس الدولة الأسبق (الراحل)، على قرار منعها من الذهاب إلى المدرسة، إلا أن اعتراضه جاء دون جدوى، لأن والدهما هو من اتخذ القرار⁽¹¹⁾. واستمر زواجها الأول عاماً واحداً فقط، وبطلاقها عادت إلى منزل والدها الذي أفنّعه لاحقاً بتسجيلها في فصول الخياطة، إلا أنها لم تخبره أن تلك الدورات كانت جزءاً من مركز لتعليم الكبار، تعلمت فيه القراءة والكتابة بلغة "الهوسا"⁽¹²⁾. ثم في

مرحلة لاحقة من الزمن، بدأت دراستها في "وكالة كانو الحكومية للتعليم الجماعي" في الثامنة عشرة من عمرها، حتى تمكنت من تعليم لغة "الهوسا" لنساء أخريات⁽¹³⁾.

وجدير بالذكر أن التعليم الابتدائي يُعد جزءاً أساسياً من الهيكل التنظيمي لمراحل التعليم في نيجيريا، حيث يُمثل المستوى الأول في نظام التعليم الرسمي، ويستهدف الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين 6-12 عاماً⁽¹⁴⁾، كما أنه يُمثل قاعدة الهرم التعليمي، وعلى نجاحه يتوقف نجاح التلميذ في المراحل التعليمية الأعلى⁽¹⁵⁾.

ومن خلال ما ذكر سابقاً، يمكن ملاحظة أن التحاق "بالارابا" بمركز لتعليم الكبار، فيه إصرار وثبات منها على رغبتها في تعلّم القراءة والكتابة بلغة "الهوسا"، وكذلك تعلّم الخياطة، لتحقيق الاستفادة من الجانبين العلمي والعمل. وهذا ما أتاح لها لاحقاً، استكمال تعليمها في "وكالة كانو الحكومية"، إلى أن تمكنت من تعليم لغة "الهوسا" للنساء والفتيات في مجتمعها الهوساوي. كما يتضح أيضاً، أن ما فعلته والدتها من الحفاظ على سرّيتها، يُعد دليلاً على أن والدتها لا تريد أن يتكرر مع ابنتها ما حدث لها في الماضي من عدم الالتحاق بالتعليم في سن مبكرة.

وفي هذا المضمّار، جسّدت الأدبية في إنتاجها الأدبي والفكري أهمية الالتحاق بنظام التعليم الرسمي في جميع مراحل المخلتفة في نيجيريا والمجتمع الهوساوي، وأهمية مواصلته حتى بلوغ مراحلها المتقدمة. فقد أشارت في رواية "Alhaki Kwikwiyo ne" "الحق مُلازم لصاحبه"، إلى شخصية "رابي" / "رابعة" "Rabi"، التي كانت تستخدمها للإشارة إلى الشخصية التي توصي ابنها "كبيرو" "Kabiru" بمواصلة دراسته الجامعية بدلاً من الالتحاق بسوق العمل. ووعده بتغطية كافة المصروفات الدراسية اللازمة للحصول على شهادته الجامعية، حتى لو تطلب ذلك سحب ودائعها البنكية⁽¹⁶⁾.

كما استعرضت الأدبية كذلك أهمية استكمال الفتيات في المجتمع الهوساوي لتعليمهن، مع التأكيد على ضرورة تجاوز التحديات المرتبطة بالزواج المبكر أو أي عوامل أخرى قد تعيق فرصهن في الحصول على التعليم. فقد أشادت في رواية "القلب المائل"، بشخصية "جميلة" "Jamilia"، التي كانت تُستخدم للرمزية إلى الشخصية العاقلة الجادة التي ترغب في مواصلة تعليمها، إلا أن ذلك لم يتوافق مع رغبة والديها اللذين كانا دائماً يسألان عن الرجل الذي ترغب في الزواج منه. وكانت والدتها ترغب في أن تساعد في بيع الطعام بدلاً من مواصلة تعليمها، بينما كان أخوها الأكبر يساندها في استكمال تعليمها، مما مكنها من إنهاء التعليم الابتدائي والالتحاق بالتعليم الثانوي. ورغم ذلك كله، فقد أرغمت على الزواج قسراً من "الحاج عثمان" الذي أغرى أهلها بالمال والهدايا⁽¹⁷⁾.

إن التحاق "بالارابا" بالمدرسة الابتدائية في السابعة من عمرها، ومنعها من مواصلة الذهاب إلى المدرسة في الثالثة عشر من عمرها تقريباً، ورفض والدها لاستكمال تعليمها، يُعد دليلاً واضحاً على أن المجتمع النيجيري الهوساوي ليس به تكافؤ للفرص بين الذكور والإناث في التحاقهم بالتعليم؛ حيث تُشير التقديرات في كتاب الإحصاء الإفريقي السنوي لعام 2021م، إلى أن نيجيريا سجّلت معدلات التحاق بالتعليم بلغت نحو 51.1%. وقد جاءت معدلات الالتحاق بين الإناث بنسب أقل من معدلات الالتحاق بين الذكور؛ حيث بلغت معدلات الالتحاق بين الإناث نحو 41.4%، في حين بلغت معدلات الالتحاق بين الذكور نحو 61.3%⁽¹⁸⁾. وهذا يشير إلى انعدام التكافؤ في فرص التحاق الإناث بالتعليم مقارنة بالذكور. وإذا كانت هذه التقديرات حديثة، فمن المؤكد أن فرص التحاق الإناث بالتعليم مقارنة بالذكور قبل نحو خمسة عقود، في فترة طفولة الأدبية، كانت أسوأ بكثير مما هي عليه في الوقت الحالي.

كما أن التحاقها بالمدرسة الابتدائية سراً دون علم والدها، قد يعتبر إشارة إلى طبيعة الثقافة السائدة في المجتمع الهوساوي التي لا تعترف بتعليم النساء والفتيات القاصرات، وبالتالي لا توليها اهتماماً يُذكر. فضلاً عن أن زواجها وهي في الثالثة عشر من عمرها زواجاً قسرياً، يُعد جريمة بحق الفتيات القاصرات في المجتمع الهوساوي.

ويُحمد للمجتمع الهوساوي إلحاق الفتيات القاصرات بالمدارس التقليدية لتعليم القرآن الكريم، إلا أنه يؤخذ عليه حرمانهن من الالتحاق بمعظم مراحل التعليم الرسمي والزواج القسري بهن.

ثانياً: زواجها

تزوجت "بالارابا" للمرة الأولى بأمر والدها من أحد أقاربها الذي كان يبلغ من العمر أربعين عاماً، بينما كانت هي في الثالثة عشر من عمرها⁽¹⁹⁾. واستمر زواجها الأول لمدة عام واحد فقط، وطلّقها زوجها في الفترة من عام 1972 إلى عام 1973م⁽²⁰⁾. ويبدو في حديثها الانزعاج حينما تتطرق إلى نهاية زواجها الأول، حيث تقول: "لا يزال هذا يؤلمني". "لم يخبرني زوجي قط أنه يُحبني، وأنه يُريدني. وذات يوم جاء شخص ما وأعادني إلى والدي". "قال إنني كنت صغيرة جداً. ألم يكن يعلم ذلك عندما تزوج طفلة؟"⁽²¹⁾.

وفي وقت لاحق بعد اغتيال شقيقها الجنرال "مُرتلا رامات محمد" في عام 1976م، تزوّجها والدها مرة أخرى من رجل آخر أحبّه، وأنجبت منه خمسة أطفال⁽²²⁾. تعلّمت "بالارابا" في زواجها الثاني دروساً كثيرة حالت دون أن تعيش كزوجة مُطبعة كما كانت في زواجها الأول؛ فقد كانت امرأة مستقلة أكثر من سعيها لإرضاء زوجها الجديد. وبعد مرور ثلاث سنوات على ولادة ابنها، تم إعادتها مرة أخرى إلى والديها، إلا أنها في هذه المرة كانت تتمتع بالثقة الكافية لأن تُخبر والدها بأنها ترغب في استكمال تعليمها. وافق والدها هذه المرة، ربما بسبب تقدم سنه وزيادة تفهمه لرغباتها⁽²³⁾.

ورغم تجربتيها في الزواج الأول والثاني، لم تتخلّ عن فكرة الزواج، لأن المجتمع الهوساوي لا تحظى فيه المرأة غير المتزوجة بالتقدير والاحترام. وقد تزوجت مرتين أخريين، حتى أصبح لديها خمسة أطفال. وانتهى زواجها الرابع والأخير -الذي وصفته بالزواج السعيد- عندما اتخذ زوجها قراراً بالزواج من امرأة أخرى. وتحدث "بالارابا" عن ذلك قائلة: "عرفتُ ما أريده الآن ورفضتُ تحمل الإساءة التي كنت قد تعرضت لها من قبل"⁽²⁴⁾. كما يُذكر أن لها ستة أحفاد⁽²⁵⁾.

وقد عالجت الأديبة "بالارابا" في إنتاجها الأدبي قضية زواج القاصرات؛ حيث أشارت في رواية "Wa Zai Auri Jahila?!" "من سيتزوج جاهلة؟!"، إلى زواج القاصرات وعواقبه من منظور نسوي⁽²⁶⁾. وفي هذا الشأن، ورد أن ما يقرب من نصف الفتيات في المجتمع النيجيري بنسبة 43% يتزوجن قبل بلوغهن الثامنة عشرة من العمر، بينما تتزوج واحدة من كل خمس فتيات في الخامسة عشرة من عمرها⁽²⁷⁾. وتأسيساً على ذلك، فإن ارتفاع مُعدّل زواج الفتيات دون الثامنة عشرة في المجتمع النيجيري والهوساوي، قد يؤدي إلى حرمانهن من فرص التعليم، ويُعرّضهن لمخاطر صحية مثل الحمل المبكر والولادة المتكررة التي قد تزيد من مخاطر تدهد الأم والطفل، كما يُسهم في تعزيز العنف الأسري وخلق تحديات اجتماعية وصحية جسيمة. كما أن ارتفاع مُعدّل زواج الأطفال دون الخامسة عشرة في المجتمع ذاته، فيه انتهاك لحقوق الطفل في التعليم والصحة وحماية الطفولة. وإجمالاً، يمكن أن تؤدي هذه الممارسات إلى انعكاسات سلبية على المجتمع، تتمثل في ارتفاع معدلات الفقر والأمية، وانتشار الأمراض، وظهور تحديات اجتماعية وصحية خطيرة تهدد الاستقرار الاجتماعي.

ثالثاً: شقيقها حاكماً لنيجيريا

يُعد الجنرال "مُرتلا رامات مجد" الأخ الأكبر والأبرز للأديبة "بالاربا رامات يعقوب"، الذي وُلد في الثامن من نوفمبر عام 1938م، بولاية "كانو". وينتمي إلى عشيرة "الجيناوا" الفولانية، ودرس في كلية "باريوا" بمدينة "زاريا" "Zaria". وانضم إلى الجيش النيجيري في عام 1958م. وتلقّى تدريب الضباط في أكاديمية "ساندهيرست" العسكرية الملكية في المملكة المتحدة كمقاتل منتظم وخضع لدورات لاحقة في الإشارات. وتمّ تكليفه كملازم ثانٍ في عام 1961م. وأُرسل إلى الكونغو للعمل مع قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام. وفي الثلاثين من يوليو عام 1975م، تمّ تنصيبه رئيساً للدولة⁽²⁸⁾.

وفي انقلاب دموي أُغتيل "مُرتلا رامات مجد" في عام 1976م⁽²⁹⁾، وهو في طريقه بسيارته إلى ثكنة "دودان باراكس" "Dodan Barracks" في ولاية "لاجوس" "Lagos"، أي بعد عام واحد فقط من توليه الحكم. كانت شقيقته آنذاك تبلغ من العمر سبعة عشر عاماً. وحتى اليوم، ترفض "بالاربا" قراءة أي شيء عن مقتل شقيقها، ولم تزر قط متحف لاجوس الوطني، الذي يعرض السيارة المرسيدس التي مزقتها الرصاصات والتي قُتل فيها شقيقها. وعن شقيقها "مُرتلا"، تقول "بالاربا" التي لا تحب الحديث عن وفاته: "كان لأخي فقط مصلحتي"⁽³⁰⁾.

رابعاً: عملها وأعمالها الأدبية ومواجهة جماعة بوكو حرام

حرصت "بالاربا" على تعلّم القراءة والكتابة بلغة "الهوسا"، حتى تمكّنت من العمل في تدريسها؛ حيث عملت كمدرسة لتعليم الكبار في وزارة التعليم بولاية "كانو". ثم أُرسلت إلى ولاية "باوتشي" "Bauchi" في عام 1983م، وذلك لحضور دورة تنشيطية، حيث حصلت على شهادة واستمرت في التدريس حتى العام التالي 1984م، الذي تقاعدت فيه عن الخدمة⁽³¹⁾. ثم انتقلت إلى مجال الإذاعة، وعملت مذيعاً لبرنامج إذاعي. كما عملت مع مدير برنامج "مؤسسة مُرتلا مجد" في ولاية "كانو"⁽³²⁾. وتولّت العديد من المناصب في اتحاد الكتّاب الهوساويين، وفي اتحاد تنظيم الأفلام المكتوبة بلغة "الهوسا"⁽³³⁾. وترأست وأدارت شركات ومؤسسات، منها شركة "رامات جنرال انتربرايزس" "Ramat General Enterprises"، وشركة "موكّدا نيجيريا ليميتد" "Mukadda Nigeria Limited"، وشركة "رامات برودكشن ليميتد" "Ramat Production Limited"، والاتحاد النسائي "رايترز أسوسيشن" "Writer's Assosiation"⁽³⁴⁾.

ومما لا شك فيه، أن التجربة الشخصية للأديبة في دخولها إلى سوق العمل، نَبَّهها إلى ما تعاني منه النساء والفتيات في مجتمعها الهوساوي، فأكدت في إنتاجها الأدبي على أهمية تمكين النساء والفتيات من الانضمام إلى سوق العمل، وضرورة تحقيق المساواة في الفرص بين الفتيات والذكور دون أي تمييز. فقد عبّرت عن ذلك في مؤلفاتها الأدبية في عدة مواضع، منها على سبيل المثال، ما ورد في رواية "الحق ملازم لصاحبه"، حيث أشارت إلى شخصية "رابعة"، التي رمزت بها إلى امرأة تعاني من ظروف أسرية قاسية، اضطرتها إلى إعداد الطعام يومياً في أوقات مختلفة (صباحاً ومساءً وليلًا) لبيعها، لسد احتياجاتها المادية واحتياجات أطفالها، دون الاعتماد على زوجها "الحاج عبده" "Alhaji Abdu" الذي تخلى عن دوره ومسئوليته في رعاية الأسرة. كما أوردت في رواية "القلب المائل" نموجاً آخر، تمثّل في شخصية "جميلة" "Jamila"، التي استخدمتها كرمزية لامرأة سافرت إلى بلد آخر لعدة سنوات، حيث عملت في مجال التجارة باستخدام حصتها من ميراث زوجها⁽³⁵⁾.

وفي هذا الصدد، يُذكر أن بيانات البنك الدولي لعام 2021م، تُشير إلى أن إجمالي القوى العاملة في نيجيريا يقدر بحوالي 64.5 مليون، بلغت مشاركة الإناث فيها نحو 44.2%⁽³⁶⁾. وعلي

الرغم من أن هذه النسبة تعكس تقدماً في مشاركة المرأة في سوق الأنشطة الاقتصادية، فإنها لا تزال دون المستوى المطلوب لتحقيق التوازن بين الجنسين في سوق العمل. وبالتالي، من الضروري تعزيز السياسات التي تشجع على تدعيم تمكين المرأة اقتصادياً.

وفي مجالي الأدب والفن، حصلت "بالارابا" على العديد من الجوائز. ففي عام ١٩٩١م، نالت الجائزة التقديرية من وكالة التعليم العام. وفي عام ٢٠٠٣م، اقتنصت الجائزة الماسية في الفنون والثقافة (WODEF)، من مؤسسة التنمية الفاعلة للمرأة. وفي عام ٢٠٠٥م، استحوذت الجائزة التقديرية من "كلية اكسيل" "Excel College" بولاية "كانو". وفي عام ٢٠٠٧م، فازت بالمركز الثاني لجائزة "المهندس بشير كاراي" "Engineer Bashir Karaye" في الأدب الهوساوي، عن العمل الأدبي "Matar Uba Jaraba" "زوجة الأب مُصيبة" بولاية "كادونا" "Kaduna". وفي عام ٢٠٠٣م، حصلت على جائزة أفضل فيلم هوساوي "Sai A Lahira" "دغه حتى يوم القيامة"، ضمن جوائز مهرجان "جائزة أربوا للأفلام" "Arewa Films Award" (AFA). إضافة إلى ذلك، ففي عام ٢٠٠٨م، أحرزت جائزة مهرجان "جائزة أربوا للتميز في الأدب" "Award of Arewa Literary Excellence"، ضمن أعمال المُلتقى الأول لكتاب شمال نيجيريا، "مينا نيجر" "Minna Niger" (37).

أما فيما يتعلق بأعمالها الأدبية التي كتبتها بلغة "الهوسا"، وترجم منها إلى الإنجليزية (38)، فتتمثل في رواية "Budurwar Zuciya" "القلب المائل" الصادرة في عام 1987م، ورواية "Alhaki Kwikwiyo ne" "الحق مُلازم لصاحبه" الصادرة في عام 1990م، ورواية "Wa Zai Auri Jahila?!" "من سيتزوج جاهلة؟!" الصادرة في عام 1990م، ومسرحية "Kyakkyawar Rayuwa" "الحياة السعيدة" الصادرة في عام 1994م، ومسرحية "Ilimi Gishirin Zamani" "العلم زينة الحياة" الصادرة في عام 1995م، ورواية "Wane Kare ne ba bare ba?" "كلنا ضيوف" الصادرة في عام 1995م، ورواية "Badariyya" "بدرية" الصادرة في عام 1996م، ورواية "Ina Sonsa Haka" "أُحبه هكذا" الصادرة في عام 1999م، ورواية "Matar Uba Jaraba" "زوجة الأب مُصيبة" الصادرة في عام 2006م (39). وأُدرج بعض هذه الأعمال الأدبية التي لم تأت شعبيتها بين عشية وضحاها، في مناهج المرحلة الثانوية (40).

هذا مُجمل أعمال الأدبية التسعة ما بين روايات ومسرحيات، حاولت فيها بجدية معالجة أهم وأبرز القضايا التي تُؤرق المجتمع الهوساوي، فضلاً عن تجسيدها لمعاناتها الشخصية في حياتها، والتحديات التي تعترض النساء والفتيات تحديداً، باعتبارها كاتبة نسوية تُدافع عن الحقوق المسلوبة والمنتهكة للنساء والفتيات في المجتمع الهوساوي الذي يسود فيه الطابع الذكوري المُطلق. وجدير بالذكر أن من أهم وأبرز القضايا التي ناقشتها الأدبية وعالجتها في مُجمل إنتاجها الأدبي والإبداعي حول المرأة، تتمثل في قضايا التعليم، والعمل، والزواج القسري، وزواج الأطفال، والدين، والأخلاق، والسحر، والعنف، وغيرها من القضايا التي تشتكي منها النساء والفتيات في المجتمع الهوساوي (41).

وقد كان لمؤلفات الأدبية بلغة "الهوسا" تأثير عميق في تشكيل وجدان النشء في نيجيريا والمجتمع الهوساوي، لا سيما لدى البنات والفتيات، اللاتي تعلّمن القراءة والكتابة، فاستمتعن بقراءة إنتاجها الأدبي، بل سعين إلى تطبيق ما ورد فيه، مما ساعد في انتشاره في المجتمع الهوساوي والنيجيري. فبعد أن نشرت روايتها الأولى "القلب المائل"، الصادرة في عام 1987م - التي تُرجمت إلى الإنجليزية - تلقت تهديدات عديدة من بعض رجال الدين تُدينها هي وأطفالها (42).

وبعد هذا الانتشار الواسع للإنتاج الأدبي والفكري للأديبة وتأثر النشء به، رأت جماعة بوكو حرام⁽⁴³⁾، أن هذا الإنتاج الأدبي لا ينسجم مع خططها في المجتمع النيجيري عامة والهوساوي خاصة، أو ربما لأنه -من وجهة نظرهم- يُحرّك الغرائز في نفوس النشء من الشباب والفتيات، الأمر الذي أدّى إلى اعتراضهم على أعمالها الأدبية ورفضهم لها، بل ذهبوا إلى تهديدها بسبب القضايا التي تناولتها في مؤلفاتها، والتي حظيت بقبول واسع بين الشباب والفتيات.

وفي سياق تهديد بعض رجال الدين لنوع الكتابة الأدبية التي تميزت بها الأديبة "بالارابا" ومن ساروا على دربها، يُذكر أنه في عام 2007م، قام حاكم ولاية "كانو" "إبراهيم شيكاراو" "Ibrahim Shekarau"، بالقضاء على كتب "Littattafan Soyayya" "كُتب الحب" بإحراقها علناً. وطالب بتنفيذ نظام تسجيل المؤلفين الذي فرضته شرطة الشريعة الإسلامية المعروفة بـ "الحسبة"، وهي جهة رقابية⁽⁴⁴⁾. وعلى الرغم من كون "كُتب الحب" مناسبة لفئات المجتمع الهوساوي وخاصة الشباب والفتيات، فقد أصبحت بمرور الوقت هدفاً رئيساً للتوبيخ من القادة المسلمين حينذاك⁽⁴⁵⁾.

وترى الدراسة أن اعتراض الجماعة على الإنتاج الأدبي للأديبة ورفضهم له، يعد دليلاً على أنها تصدت لأعمال العنف التي تسببوا بها. وقد عالجت في أعمالها الأدبية العديد من القضايا الهامة مثل اختطاف الفتيات للزواج القسري بهن وإجبارهن على الإنجاب. وقد نُبّهت الأديبة إلى هذه المسألة في أعمالها الأدبية مراراً وتكراراً. وزد على ذلك، أن فكر بوكو حرام الإرهابي يعتمد بشكل رئيسي على جهل الأفراد لتنفيذ أجنداتهم الإرهابية، مع تقديمها على أنها تصب في مصلحة الوطن. وهذا ما حاولت الأديبة نشره بين الشباب والفتيات من خلال مؤلفاتها، ليكونوا على دراية بما يُحاك ضد الجميع.

وهكذا يصبح الأدب حصناً متيناً في مواجهة الأفكار المتطرفة في المجتمعات -وخاصة الإفريقية منها- التي تضم جماعات متطرفة كما في نيجيريا حيث جماعة بوكو حرام. وبهذا، تكون "بالارابا" قد أسهمت في مكافحة التطرف في مجتمعها النيجيري والهوساوي.

ومع ظهور جماعة بوكو حرام على مدى السنوات الماضية، أصبحت الأديبة "بالارابا" من أكبر وأبرز الداعمين لضحايا التفجيرات الإرهابية لتلك الجماعة المتطرفة، بذهابها إلى المستشفيات لمقابلة الجرحى ومواساتهم وتقديم المساعدات اللازمة لإتمام شفائهم. وفي هذا الإطار، يمكن القول بأن التجربة المؤلمة التي عانت منها الأديبة في حياتها الشخصية، ساعدتها في التواصل مع ضحايا تلك الجماعة، فقد صرحت قائلة: "أعرف تماماً كيف يشعر المرء بالعجز وعدم القدرة على التحدث والتعبير"⁽⁴⁶⁾.

ومن الجدير بالذكر أن للأديبة ثمانية أفلام⁽⁴⁷⁾. فعندما توجهت الأديبة إلى السينما، كانت تسعى لعرض أفكارها وأهدافها على شريحة واسعة من المواطنين البسطاء، خصوصاً أولئك الذين لم يتعلموا القراءة والكتابة، حيث أتاحت لها السينما فرصة إضافية للتواصل مع جمهورها الكبير ومُعجبيها، لتطرح عليهم العديد من القضايا الهامة والمعقدة التي تحظى باهتمام الجميع في مجتمعها النيجيري والهوساوي، بهدف توعيتهم من خلال المشاهدة والتفاعل أثناء العرض السينمائي.

هذا، وتؤكد الدراسة على أن الأديبة النيجيرية الهوساوية المتميزة "بالارابا رامات يعقوب"، لا تزال على قيد الحياة، وأن جهودها ككاتبة نسوية مُعاصرة في الدفاع عن حقوق النساء والفتيات في المجتمع النيجيري والهوساوي، لا تزال تنشر الأمل والتحليق في الآفاق.

خاتمة

وفي الختام، فقد تناولت الدراسة نقاط رئيسة وهامة في حياة الأديبة النيجيرية الهوساوية "بالارابا رامات يعقوب"، من حيث ميلادها، ونشأتها، وتعليمها، وزواجها. كما هدفت إلى استكشاف مسيرتها الأدبية، بالتركيز على إنتاجها الفكري والإبداعي وعملها، ومواجهتها لجماعة بوكو حرام وتعاطفها مع ضحاياهم، وارتباطها بقضايا المرأة الهوساوية، وإسهاماتها في مجال السينما.

استنتجت الدراسة انحياز الأديبة للمرأة في المجتمع النيجيري والهوساوي، وذلك من خلال تناولها لأهم وأبرز قضايا المرأة التي عرضتها في إنتاجها الفكري والإبداعي. كما توصلت إلى أن بعض هذه القضايا تميزت بالطابع الشخصي للأديبة، بينما كانت قضايا أخرى دافعت فيها عن المرأة تضامناً ومؤازرة لها؛ حيث عرضت في أعمالها الأدبية قضايا اجتماعية وثقافية معقدة حول المرأة في المجتمع الهوساوي، كالزواج القسري وزواج القاصرات، وتعليم المرأة، وعملها، والعنف ضدها، والتمييز بينها وبين الرجل في سوق العمل.

وفي هذا السياق، يمكن القول بأن نشأة الأديبة ومشاكلها الاجتماعية والثقافية التي واجهتها كطفلة وشابة وزوجة، في زواجها القسري، وحرمانها من حق التعليم، وسوء معاملتها كزوجة، واستخدام العنف ضدها، والتمييز بينها وبين الرجل في سوق العمل، وانعكاس ذلك في إنتاجها الأدبي وفي أنشطتها في حياتها الشخصية، كل هذا ساعد في أن يندرج إنتاجها الأدبي تحت مظلة الأدب النسوي، وذلك لدفاعه عن قضايا حقوق المرأة ومناقشته لقضاياها الثقافية والاجتماعية وغيرها من القضايا الهامة والمعقدة.

الهوامش والإحالات

- ¹ - Abdulbasir Ahmad Atuwu (2022): The Writer and Society: A Literary Study of Balaraba Ramat Yakubu's Reflections on Hausa Society. *Sch Int J of Linguist Lit*, 5 (2). Scholars Middle East Publishers, Dubai. P: 72.
- ² - Balaraba Ramat Yakubu (1994): *Kyakkyawar Rayuwa*. Gidan Dabino Kano. Kano - Nigeria. P: (Cover).
- ³ - Abdulbasir Ahmad Atuwu (2022): Op. Cit. P: 72.
- ⁴ - حزب الله الحسن علي وآخرون (2022): تطوير نظام التعليم في المدارس القرآنية التقليدية في مجتمع شمال نيجيريا المعاصر وأثره في تعليم القرآن الكريم. مجلة القلم. العدد: 31. ص ص: 262-267. (بتصرف)
- ⁵ - موسى عبدالسلام مصطفى أبيكن & محمد كامل أحمد (2020): القرآن الكريم وحملته في نيجيريا. الضاد. العدد: 4. المجلد: 1. ص: 62. (بتصرف)
- ⁶ - لغة الهوسا هي إحدى أشهر لغات مجموعة اللغات التشادية، ولعلها تأتي بعد اللغة العربية من حيث عدد متحدثيها ضمن لغات الأسرة الأفروآسيوية، فهي شائعة الاستعمال بوصفها لغة تجارية دارجة في غرب إفريقيا. للمزيد انظر: وليم باسكوم & هلفيل هيرسكوفت (محرران) (ترجمة: عبد الملك الناشف) (د:ت): الثقافة الإفريقية: دراسات في عناصر الاستمرار والتغير. المكتبة العصرية: بيروت. ص: 44.
- ⁷ - للمزيد انظر: حماد إسماعيل فوزي صادق، وآخرون (2023): تعليم المرأة في أعمال الأدبية الهوساوية بالارابا رامات يعقوب. مجلة الدراسات الإفريقية. العدد: 4- ج: 2. المجلد: 45. ص ص: 787، 788.
- ⁸ - Abdulbasir Ahmad Atuwu (2022): Op. Cit. P: 72.
- ⁹ - Balaraba ramat yakubu's journey from illiterate child bride to famous nigerian novelist. Site: the world weekly. Date: 8 - 9 - 2020.
- <https://www.theworldweekly.com/reader/view/15874/balaraba-ramat-yakubus-journey-from-illiterate-child-bride-to-famous-nigerian-novelist>. Date: 8 - 9 - 2020.
- ¹⁰ - Ibid. Date: 8 - 9 - 2020.
- ¹¹ - Abdulbasir Ahmad Atuwu (2022): Op. Cit. P: 72.
- ¹² - Dennis Abrams (2016): Nigeria's Balaraba Ramat Yakubu: Translating Injustice Into Inspiration. Site: publishing perspectives. Date: 1 - 10 - 2022.
- <https://publishingperspectives.com/2016/03/balaraba-ramat-yakubu-translating-injustice-into-inspiration/>. Date: 1 - 10 - 2022.
- ¹³ - The world weekly: Op. Cit. Date: 8 - 9 - 2020.
- ¹⁴ - Saturday Tete Birabil & Obitor Wizoma Matthew Ogeh (2020): Education in Nigeria: Challenges and Way Forward. International Journal of Academic Research and Reflection. Vol. 8, No. 1.p: 44.
- ¹⁵ - محمد السيد حسونة (رئيس فريق البحث) (2004): التعليم الابتدائي في بعض الدول: دراسة مقارنة. المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، شعبة بحوث المعلومات التربوية. القاهرة. ص: 2.
- ¹⁶ - للمزيد انظر: حماد إسماعيل فوزي صادق، وآخرون (2023): تعليم المرأة في أعمال الأدبية الهوساوية بالارابا رامات يعقوب. مرجع سابق. ص ص: 790، 791.
- ¹⁷ - للمزيد انظر: حماد إسماعيل فوزي صادق، وآخرون (2023): تعليم المرأة في أعمال الأدبية الهوساوية بالارابا رامات يعقوب. مرجع سابق. ص ص: 796-799.
- ¹⁸ - African Development Bank Group (2021): The African Statistical Yearbook. ECA Printing and Publishing Unit. Ethiopia. P: 333.
- ¹⁹ - Abdulbasir Ahmad Atuwu (2022): Op. Cit. P: 72.

وفي موضع آخر يُذكر أنها تزوجت للمرة الأولى وهي في الثانية عشر من عمرها. للمزيد انظر:

Thomas Page (2018): Beyond heartache and Boko Haram: Nigerian women prove love is universal. Site: CNN. Date: 5 – 10 – 2022.

<https://edition.cnn.com/2016/02/15/africa/nigeria-love-literature/index.html> . Date: 5 – 10 – 2022.

²⁰ - Abdulbasir Ahmad Atuwu (2022): Op. Cit. P: 72.

²¹ - The world weekly: Op. Cit. Date: 8 - 9 - 2020.

²² - Abdulbasir Ahmad Atuwu (2022): Op. Cit. P: 73.

²³ - Dennis Abrams (2016): Op. Cit. Date: 1 – 10 - 2022.

²⁴ - The world weekly: Op. Cit. Date: 8 - 9 - 2020.

²⁵ - Balaraba Ramat Yakubu (1999): Ina Sonsa Haka. Century Research and Publishing Ltd. Kano - Nigeria. p: vii.

²⁶ - Thomas Page (2018): Op. Cit. Date: 5 – 10 – 2022.

²⁷ - Spotlight initiative to eliminate violence against women and girls (2022): 16 Facts about Violence Against Women and girls in Nigeria: For the 16 Days of Activism. P: 24.

²⁸ - معرفة (د: ت): مُرتلا مجد. شبكة معرفة العنكبوتية. بتاريخ: 30 – 04 – 2023.

<https://www.marefa.org/%D9%85%D9%88%D8%B1%D8%AA%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF>. Date: 30 – 04 – 2023.

²⁹ - Abdulbasir Ahmad Atuwu (2022): Op. Cit. P: 73.

³⁰ - The world weekly: Op. Cit. Date: 8 - 9 - 2020.

³¹ - Abdulbasir Ahmad Atuwu (2022): Op. Cit. P: 73.

³² - Kabafest (2018): Balaraba Ramat Yakubu. Site: Youtube. Date: 05 – 10 – 2022.

<https://www.youtube.com/watch?v=zNZQsc61aQE> Date: 05 – 10 – 2022.

³³ - Balaraba Ramat Yakubu (1999): Op. Cit. p: v.

³⁴ - Balaraba Ramat Yakubu (1994): Op. Cit. P: (Cover)

³⁵ - للمزيد انظر: حماد إسماعيل فوزي صادق، وآخرون (2023): عمل المرأة في أعمال الأدبية الهوساوية بالارابا رامات يعقوب. مجلة الدراسات الإفريقية. العدد: 3 - ج: 2. المجلد: 45. ص: 523 - 528.

³⁶ - البنك الدولي (د: ت): القوى العاملة، إناث (% من إجمالي القوى العاملة) - Nigeria. شبكة البنك الدولي العنكبوتية. بتاريخ: 20 – 11 – 2022.

<https://data.albankaldawli.org/indicator/SL.TLF.TOTL.FE.ZS?locations=NG>. Date: 20 – 11 – 2022.

³⁷ - Balaraba Ramat Yakubu (1999): Op. Cit. p: vi.

³⁸ - يُذكر أنه في عام 2012م، ترجمت النشرة الهندية "بلافت" "Blafit" الكتاب الثاني لـ "بالارابا" "Alhaki kwikwiyo ne" "الحق مُلازم لصاحبه"، من "الهوسا" إلى الإنجليزية بعنوان "Sin is a Puppy That Follows You Home". وبهذا أصبحت "بالارابا" أول أدبية من "الهوسا" تُترجم أعمالها إلى اللغة الإنجليزية. ومنذ ذلك الحين -كما تقول "بالارابا"- لم تتمكن من حساب عدد الصحفيين والباحثين الذين جاءوا لرؤيتها لمناقشة أدب "الهوسا". للمزيد انظر: شبكة (the world weekly) العنكبوتية. بتاريخ: 8 - 9 - 2020.

³⁹ - Abdulbasir Ahmad Atuwu (2022): Op. Cit. P: 73.

⁴⁰ - The world weekly: Op. Cit. Date: 8 - 9 - 2020.

⁴¹ - للمزيد انظر: حماد إسماعيل فوزي صادق (2023): المرأة في أعمال الكاتبة الهوساوية بالارابا رامات يعقوب: دراسة نقدية. رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية الدراسات الإفريقية العليا- جامعة القاهرة. القاهرة.

⁴² - The world weekly: Op. Cit. Date: 8 - 9 - 2020.

⁴³ - وعن جماعة "بوكو حرام" ومؤسّسها وتاريخ نشأتها في نيجيريا، فمعظم وسائل الإعلام والكتّاب والمُعلقين أرجعوا تاريخ نشأة "بوكو حرام" إلى عام 2002م. ومع ذلك، فإن مسئول الأمن في نيجيريا تتبعوا جذورها التاريخية الحقيقية إلى عام 1995م، عندما أسس "أبو بكر لوان" جماعة أهل السنة والجماعة أو جماعة الشباب (منظمة الشباب المسلم) في "مايدوغوري" "Maiduguri" بولاية "بورنو" "Borno". ازدهرت الجماعة

بوصفها حركة غير عنيفة حتى تولى "محمد يوسف" قيادتها عام 2002م. ومع مرور الوقت، تحركت الجماعة تحت أسماء مختلفة؛ مثل حركة طالبان النيجيرية، والمهاجرون، والطائفة اليوسفية، وبوكو حرام. ومع ذلك، تُفضل اسم جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد. للمزيد انظر: إيوانيس مانتزيكوس (ترجمة: محمود عزت) (2022): بوكو حرام: تحليل الأزمة. مكتبة الإسكندرية. مصر. ص: 20.

⁴⁴ - Thomas Page (2018): Op. Cit. Date: 5 – 10 – 2022.

⁴⁵ - Frances Martel (2016): Nigeria's Female Romance Novelists Overcome Sharia, Boko Haram to Tell Their Stories. Site: Breitbart. Date: 5 – 10 – 2022.

<https://www.breitbart.com/national-security/2016/02/16/romance-novel-boom-in-boko-haram-ravaged-nigeria/> . Date: 5 – 10 – 2022.

⁴⁶ - The world weekly: Op. Cit. Date: 8 - 9 - 2020.

⁴⁷ - Balaraba Ramat Yakubu (1999): Op. Cit. p: v.